

الدرس السابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد :

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب «الكبائر» :

باب ما جاء في كثرة الكلام

وقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ الآية [الافتار: ١٠٠-١٢٠] .

قال المصنف رحمه الله تعالى : «باب ما جاء في كثرة الكلام» ؛ كثرة الكلام مذمومٌ إلا ما كان معتنيًا صاحبه بضبطه، بحيث يعتني بما يقول ويتنبه لما يتلفظ به ألا يكون فيه محرم أو مكروه أو مخالفة لشرع الله تبارك وتعالى ؛ وذلك أن المرء إذا كان كثير الكلام لا يأمن من السقط في كلامه والزلل ، قد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه كثر ذنوبه، ومن كثر ذنوبه فالنار أولى به» . فكثرة الكلام تفضي بالإنسان إلى الوقوع في الزلل، ولهذا الأصل في الإنسان أن يحرص على عدم الكلام إلا في خير، كما مرّ معنا في الحديث: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)) ، وجاء في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((مَنْ صَمَتَ نَجَا)) ، ليس معنى ذلك أن كل من تكلم هلك، بل من تكلم بالخير نجا ومن تكلم بالشر هلك ، لكن إذا كان الإنسان مكثّرًا في الكلام ثرثارًا لا يأمن من الزلل، والكلمة قبل أن يتكلم بها المرء يملكها، أما إذا تكلم بها ملكته وتحمل تبعثها.

أورد رحمه الله قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَقُولُونَ ؛ وهذا فيه أن أقوال الإنسان كلها من جملة عمله المكتوب عليه ، المحصى عليه، الذي يحاسب عليه يوم يقف بين يدي الله جلّ وعلا يوم القيامة ، وإذا استحضر العاقل أن كلامه من جملة عمله غني بصيانة كلامه وحفظ منطقه، وإذا غفل الإنسان عن هذا المعنى لم يبال بما يتكلم به . ولهذا ينبغي على العبد أن يكون هذا المعنى حاضرًا في ذهنه، ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ ؛ ومما يُكتب على المرء كلامه، وقد مرّ معنا أيضًا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] .

قال رحمه الله تعالى :

قال : عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعاً ((إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات)) ؛ العقوق هو القطيعة وعدم البرّ والوفاء مع من هي أكثر الناس إحساناً إليه ورعايةً له، وقيامًا على مصالحه، وتعبًا في تنشئته وتربيته، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفَصَالُهَا ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ، كم هي المعاناة التي بذلتها الأم والجهد الجهد الذي قامت به عملاً على تنشئة ابنها ووليدها ، ولهذا حُص في الحديث الأمهات، قال: ((عقوق الأمهات)) مع أن العقوق محرم حتى مع الآباء، لكن خصَّ الأمهات لعظيم حقهن، ولهذا جاء في الحديث: ((قال: مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ : أُمَّكَ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: أُمَّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبَاكَ)) ، وقال في الحديث الآخر: ((مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ أُمُّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ أُمُّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ أُمُّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ثُمَّ أَبُوكَ)) ، لأن حق الأم أعظم، العقوق كله محرم لكن عقوق الأم من أشنع العقوق وأشدّه. وكيف يكون العقوق مع من حملته تسعة أشهر، وعانت عند وضعه، وضعتة كرهما، وعانت أيضا عند رضاعته وسهرت عليه الليالي وتعبت، ثم يقابل هذا الجميل العظيم والإحسان الكبير بالعقوق والإساءة!! والله عز وجل أمر ببر الوالدين وأوجبه وجعله قريناً لحقه سبحانه وتعالى في أكثر من آية في القرآن، قال الله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] ، وقال جلّ وعلا: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦] ، وقال جلّ وعلا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَن تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١] ، وقال جلّ وعلا: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] ، فقرن حقهما سبحانه وتعالى بحقه ، كما أنّ عقوق الوالدين مقرون بالشرك بالله سبحانه وتعالى، قد مر معنا في الحديث: ((ألا أُنبِّئُكُمْ بِأكْبَرَ الْكِبَائِرِ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ)) ؛ فحق الوالدين قرين حق الله في كتاب الله، وقطيعة الوالدين وعقوق الوالدين قرين الشرك بالله والعياذ بالله، وحُصّت الأمهات هنا بالذكر لأن حق الأمهات أعظم.

٢

كتب الأخبار وكتب التاريخ إذا جاء وقت الوضع حفر حفرة عميقة وقت الوضع وقت الولادة يحفر حفرة عميقة ويجلس فإذا وضعت إن قيل ولد أبقاه، وإن قيل أنثى مباشرة في الحفرة، تدفن ويهال عليها التراب، ما تبقى في الدنيا ولا دقيقة واحدة، من شدة الكراهية الشديدة، وبعضهم ربما صبر عليها السنة والستين والثلاث ثم قال لأُمها: جَمَلِيهَا طَبَّيْهَا حَسَنِيهَا ثُمَّ أَخَذَهَا مَعَهُ كَأَنَّهُ يَفْسَحُهَا أَوْ يَمْتَعُهَا وَقَدْ حَفَرَ لَهَا حَفْرَةً، ثُمَّ يَدْفَعُهَا فِيهَا وَيُهَيِّلُ عَلَيْهَا التُّرَابَ، ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩] .

والبنت هبة إلهية ومنة ربانية، قال الله عز وجل: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يَزْوَجَهُمْ ذُرَّكَانًا وَإِنِاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٥٠] ، قسمة رباعية:

❖ من الناس من يرزق البنات دون البنين.

❖ ومنهم من يُرزق البنين دون البنات.

❖ ومنهم من يزوجه الله عز وجل ذكرانا وإناثا، يعني يعطيه بنين وبنات ﴿أَوْ يَزْوَجَهُمْ ذُرَّكَانًا وَإِنِاثًا﴾ أي يمن عليه بالبنين والبنات.

❖ ومنهم من يكون عقيماً لا يولد له.

وهذه الأقسام الأربعة وجدت حتى في الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه؛ لوط عليه السلام كان له بنات ولم يكن له بنين، وإبراهيم عليه السلام كان له بنين ولم يكن له بنات، ومحمد صلى الله عليه وسلم كان له بنين وبنات، وعيسى لم يكن له بنين ولا بنات.

الشاهد أن البنات من منة إلهية، وهبة ربانية، وفيها من الخير والبركة والنفع لأهلها ومن بعد ذلكم إذا من الله عز وجل عليها بالصالح جاءت بالذرية وعملت على تربيتهم وعلى تأديبهم ورعايتهم ، فالبنت شأنها عظيم، إذا نُشِئت نشأةً صالحة ونشأت عفيفةً قانتة غافلة مطيعة لرَّبِّها سبحانه وتعالى فهذه من أعظم النعم . فهذه من أعمال الجاهلية «وَأَدِ الْبَنَاتِ» أي دفنهن وقتلن وهنَّ أحياء.

قال: ((وَمَنْعًا وَهَاتِ)) ؛ «مَنْعًا»: أي يمنع الخير من جهته فلا يبذل ولا يعطي، ويدخل في ذلك منع ما افترضه الله سبحانه وتعالى عليه بذله وإعطاءه ، ومنع الخير فلا يقدِّمه للناس ولا يبذله لهم.

«وهات»: أي أن مثل هذه الأمور يريد أن تكون من الناس له، يريد أن يعطوه، يريد أن يعاملوه بالمعاملة الحسنة، يريد أن يلاطفوه إلى غير ذلك وهو لا يعامل بذلك ، فيحب لنفسه ما لا يحب لغيره، ويريد من الناس أن يعاملوه بالحسنى ما لا يعاملهم به ، وفي بيعه وشرائه إذا كان الحق له يستوفيه كاملاً، وإذا كان عليه ماطل، ﴿وَيْلٌ

لِلْمُطَفِّينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿المطففين: ١-٥﴾ .

قال: ((وكره لكم قيل وقال))؛ وهذا موضع الشاهد من ذكر الحديث في هذه الترجمة. «قيل وقال»: أي أنّ هذا يكون ديدن الإنسان في مجالسه ولقائه بالناس ، يكون ديدنه قيل وقال ، قيل كذا ويقال كذا، يكون مديعاً، ينشر ما يقال، ولهذا جُلَّ أحاديثه قيل كذا ويقال كذا، ينقل الكلام فيكون مديعاً، ولما ذكر علي بن أبي طالب الفتن -وأثره في الأدب المفرد للإمام البخاري- قال: «إن من ورائكم فتناً متطاوله رُدْحًا» عظيمة وشديدة، قال: «فلا تكونوا مذايع بُذُرًا»، مذايع : أي نَقْلَة للكلام، قيل كذا ويقال كذا إلى آخره، وبُذُرًا: أي بذرة للفتنة، بمثل هذا الكلام الذي ينقل فيحدث مع الخلاف والشقاق والفرقة ، ولا سيما إذا كان نقل على سبيل النميمة والإيقاع بين الناس وإحداث الفتنة .

ولهذا ينبغي على المسلم أن يصون نفسه عن مثل ذلك وأن يحفظ لسانه وإلا سيندم، كما قال القائل:

لم نستفد من جمعنا طولَ عمرنا سوى أن جمعنا قيل وقالوا

تصبح بضاعته قيل وقال، ليس عنده علم ولا هدى ولا حق ولا خير ينفع الناس ، وإذا جلس عند الناس لا يحمل هدى ولا يحمل علماً ولا يحمل شيئاً ينفع الناس، وإنما إذا جلس قال: قيل كذا ويقال كذا إلى آخره من أمورٍ لا طائلة من ورائها، بل ربما من ورائها الضرر والشرّ.

((وكثرة السؤال)) كثرة السؤال أمرٌ مذموم، ولا ينبغي للإنسان أن يكون مكثراً من الأسئلة، وأن يحصر أسئلته فيما فيه نفعٌ له، ومن كان مكثراً من الأسئلة في الغالب -والله تعالى أعلم- أن أسئلته ليست تحريراً للخير، لأن من يتحرّر الخير ينشغل بالعلم والفائدة وإذا احتاج إلى السؤال سأل في حدود حاجته للسؤال، أما أن تكون الأسئلة ديدن الإنسان، كثير الأسئلة، ففي الغالب أن كثير الأسئلة لا همّ له في العمل، أما من كان همه العمل فإنه منشغلٌ به، فإذا احتاج إلى السؤال سأل.

قال: ((وإضاعة المال)) أي تبذير المال وعدم العمل على حفظه . وإضاعة المال أمرٌ مذموم ، لأن الله عزّ وجلّ منّ على هذا العبد بهذا المال ليستعمله في طاعة الله ، ليستعمله فيما فيه الخير والنفع ، أما أن يضيّع المال وأن يبدّر وأن يسرف فإن الله سبحانه وتعالى يسأله عن ذلك، ((لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ - وذكر منها- وَعَنْ مَالِهِ فِيمَا أَنْفَقَهُ وَمِنْ أَيْنَ كَسَبَهُ)) .

قال رحمه الله تعالى:

٣٢ - وعن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: ((إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون)) حسنه الترمذي.

قال رحمه الله تعالى: وعن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: ((إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً)) ؛ وهذا فيه فضل حسن الخلق ورفيع منزلة أهله في الجنة.

قال: ((أقربكم مني مجلساً يوم القيامة)) وهذا فيه أن حُسن الخلق سبب لرفعة الدرجات وعلو المنازل يوم القيامة، حتى يكون صاحب الخلق العظيم الخلق الرفيع أقرب منزلة إلى النبي عليه الصلاة والسلام يوم القيامة. ((أقربكم مني مجلساً يوم القيامة)) وهذا فيه فضل حسن الخلق وأن حسن الخلق سبب لرفعة الدرجات وعلو المنازل؛ ولكن متى حُسن الخلق كذلك؟ أي سبباً لرفعة الدرجات وعلو المنازل؟

لا يكون الخلق سبباً لنيل هذا الثواب وهذه الرفعة وهذا العلو إلا إذا فعله العبد تقرباً إلى الله وطلباً لرضاه ، أما إن كان فعل حُسن الخلق لمصالح دنيوية فله ما فعل حُسن الخلق لأجله، وما له عليه يوم القيامة من نصيب . من فعل حسن الخلق في الدنيا للشهرة مثلاً ؛ ينال شهرةً لكن لا يجد عليه شيئاً يوم القيامة، قد سأل عدي بن حاتم الطائي النبي عليه الصلاة والسلام عن والده حاتم، وحاتم مضرب المثل في الكرم، حتى إنهم إذا أردوا أن يذكروا الكرم قالوا: «كرمٌ حاتمِي» ، مضرب مثل في الكرم ، فسأل النبي عليه الصلاة والسلام عن والده حاتم وذكر كرمه وأنه يفعل كذا ويفعل كذا، قصصه عجيبة للغاية في الكرم، هل ينفعه عند الله ؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ أَبَاكَ أَرَادَ شَيْئًا فَأَذْرَكَه)) أي الشهرة، أراد الشهرة ونال الشهرة ، والشهرة نالها واستمرت، لا يزال الناس عبر الأجيال يذكرونه بالكرم اشتُهر به، لكن إذا وقف بين يدي الله يوم القيامة لا يجد عليه شيئاً. قال: ((إِنَّ أَبَاكَ أَرَادَ شَيْئًا فَأَذْرَكَه)) أما عند الله لا ينفعه. فلا يكون حُسن الخلق نافعاً للعبد إلا إذا صدر من الإنسان على وجه التقرب لله. وهذا المعنى قد يغفل عنه بعض الناس، يستحضر التقرب في الصلاة في الصيام في الحج ويغفل عن التقرب في باب الأخلاق، فالأخلاق من جملة القُرب التي يترتب عليها الثواب والأجر العظيم وعلو المنازل عند ربّ العالمين سبحانه وتعالى. وفي صحيح مسلم أن عائشة رضي الله عنها سألت النبي عليه الصلاة والسلام عن ابن جُددان قالت: يقري الضيف ويفك العاني وذكرت شيئاً من أوصافه أينفعه ذلك؟ قال: ((لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)) ، ولهذا الأخلاق والآداب وهذ الأعمال تُعمل من أجل غفران الخطايا يوم الدين، ورفعة الدرجات يوم لقاء ربّ العالمين سبحانه وتعالى ، ولما سئل عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يكون به دخول الجنة قال: ((تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ)).

قال: ((وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون)) وهذا موضع الشاهد من هذا الحديث في هذه الترجمة؛ التحذير من الثرثرة والتشديق بالكلام ولوّكه باللسان، فإن هذا أمرٌ يُذم عليه الإنسان.

قال ((وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون)) ؛ والثرثار : هو الذي يُكثر الكلام، من الثرثرة وهي كثرة الكلام. ((والمتشدقون)) ؛ المتشديق هذه الكلمة من الشّدق وهي جانب الفم، أي يلوّك لسانه ويتوسع في الحديث، ومثله كذلك قوله: ((المتفيهقون)) يتقعر في الكلام ويتوسع في الكلام عن غير حاجة، وإنما هي ثرثرة، يُكثر من الكلام عن غير حاجة، بل ربما فيما فيه مضرة عليه وعلى الجالسين معه. قال رحمه الله تعالى :

باب التشديق وتكلف الفصاحة

وقول الله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ الآية [المنافقون: ٤]

قال رحمه الله تعالى : «باب التشديق وتكلف الفصاحة» ؛ «التشديق» : هو الإكثار من الكلام والتوسع فيه وعدم الاحتراز من آفات اللسان، وإنما يتشديق بالكلام ويحاول أن ينمّق حديثه وألفاظه، ولكن المضمون لا نفع فيه ، أو فيه مضرة عليه وعلى من يستمع إليه، وهُمّهُ هو تزويق الكلام وتنميقه وتجميل الألفاظ بحيث تشد السامع .

«وتكلف الفصاحة»: لا تأتي الفصاحة عنده سجية، وإنما يتكلف؛ يتكلف الفصاحة، يتكلف البيان، جمال المنطق، لكن المضمون ، المعاني ، الحقائق هذه لا نفع فيها أو فيها مضرة عليه وعلى من يستمع إليه. قال الله عز وجل ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ أي المنافقين ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ نضارة الأجسام وترتيب الهيئة والهندام والمظهر إلى آخره تعجبك أجسامهم ، ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لماذا ؟ لأنهم يتفننون في تنميق الكلام وتجميل الكلام والتأثير على السامع ، حتى إن من يستمع يعجبه قوله، ويدخل في كلامه أشياء حسنة ليتوصّل من خلالها إلى أشياء محرمة وباطلة، يلبسون الحق بالباطل.

قال رحمه الله تعالى :

٣٣ - عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: ((إنّ من البيان لسحراً)) رواه البخاري.

قال رحمه الله تعالى: عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: ((إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا)) ؛ «مِنْ»: للتبعية، فليس كل البيان كذلك، وإنما من البيان لسحرًا. والمراد بالبيان الذي وُصف بهذا الوصف: هو الكلام الذي حرص صاحبه على تزويقه وتنميقة والتفاسح فيه وعرضه بصورة جميلة شبيقة للسامع، ولكن في الحقيقة هو دعوة إلى ضلال، ودعوة إلى باطل، فيحسن البيان يحسن المنطق ليسحر القلوب ويجلبها إلى الأهواء التي عنده والباطل الذي يدعو إليه. قال: ((إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا)) أي يسحر القلوب ويؤثر في الناس مثل ما يؤثر السحر صرفًا وعطفًا. فهذا فيه تحذير من البيان الذي على هذه الصفة. أما البيان الكلام البين الواضح الفصيح النافع المفيد فهذا لا يُذم.

قال رحمه الله تعالى :

٣٤ - وعن ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً: ((إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقْرَةُ)) حسنه الترمذي.

قال: وعن ابن عمرو -عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما- مرفوعاً: ((إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقْرَةُ)) ؛ يتخلل بلسانه: أي يلوك اللسان بلسانه ويُعنى برعاية تزويق الكلام والألفاظ والمنطق ولكن المضمون دعوة إلى ضلال وإلى باطل وإلى أهواء ؛ فمن كان كذلك فإنه يبغيض إلى الله ، ((إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقْرَةُ)) .

وهذا يستفاد منه : أن مجرد الفصاحة والبيان وسلامة المنطق هو بحد ذاته ليس مدحاً إلا إذا كان ذلك في الحق والهدى ، يعني بعض الناس يعتني بالفصاحة للفصاحة ذاتها ولجمال الألفاظ نفسها ، ليس عنده شيء من الاهتمام بدين الله والعمل على استغلال هذه الآلة التي هي الفصاحة لنفع عباد الله تبارك وتعالى، وإنما همهم الفصاحة للفصاحة نفسها، هي مقصده تزويق الكلام وتنميق الكلام ، ولهذا يعتني بالألفاظ عناية دقيقة أما المضامين والحقائق لا يبالي بها ، بل بعضهم -وهذا يقع كثيراً في الشعر- يبالي في الأوصاف بل يكذب في الأوصاف لا لشيء إلا لأجل أن يظهر الكلام بشكل أجمل وألفاظ أحسن ، ولهذا قيل: «أعذب الشعر أكذبه»، وقيل أيضاً: «لا يبلغ الرجل ذروة الأدب حتى يصبح قليل الأدب» ، فهذا الكلام الذي يقال هو في حق من كان كذلك؛ يعتني بالفصاحة لذات الفصاحة، يعتني بالبيان لذات البيان، يعتني بالألفاظ ولا يبالي بقضية الحقائق والمعاني هل هي نافعة أو ضارة؟ ولهذا بعضهم بالغ -والعياذ بالله- كما قال ذلك أحد المشاهير الأدباء القدامى قال: "لا دخل للعقائد في الشعر" ، يعني حتى لو كان في الشعر مخالفة للعقيدة يقول: ما يضر! لأن هذا شعر، جمال ألفاظ، ولهذا يأتي في الشعر ألفاظ مخلة بالعقيدة مخلة بالأدب، يقول: هذا شعر، انظر أنت فقط إلى جمال

الألفاظ، لا تنظر إلى ما فيه من مخالفة، إلى هذه الدرجة بلغ الحال ببعض الناس من اهتمامه بالألفاظ وتضييعه للحقائق والمضامين.

قال رحمه الله تعالى :

٣٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((من تعلّم صرف الكلام ليصرف به قلوب الرجال أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)) رواه أبو داود.

قال: وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((من تعلّم صرف الكلام)) أي تعلّم تزويق الكلام وتنميقه وتصريفه، واعتنى عناية دقيقة بالألفاظ ، المنطق.

((ليصرف به قلوب الرجال أو الناس)) أي إليه ، تعلم صرف الكلام من أجل أن يقال فصيح، من أجل أن يقال بليغ ، ما أبلغه ما أفصحه، رجل عالي في بلاغته في فصاحته، فتعلّم صرف الكلام من أجل ذلك.

((لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)) ؛ قيل في معنى «صرفاً ولا عدلاً» أي لا فريضة ولا نفل . وهذا يدل على خطورة مثل هذه التصرفات ؛ أن يكون الإنسان يهتم بالمنطق والكلام واللغة والنحو والصرف والبلاغة يعتني بها ليس من أجل الدين وإنما من أجل أن يكون رجلاً فصيحاً بليغاً يشار له بالبنان في فصاحته وفي منطقته وفي بلاغته ، أما الدين فلا همة له فيه.

قال رحمه الله تعالى :

٣٦ - ولأحمد عن معاوية رضي الله عنه: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يشققون الكلام تشقيق الشعر».

قال: ولأحمد عن معاوية رضي الله عنه: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يشققون الكلام تشقيق الشعر» وفي إسناده الحديث كلام ، لكنه من حيث الجملة معناه كما سبق ، تشقيق الكلام: تزويق الكلام وتنميقه وتحسينه، وتكون همة الإنسان متجهة للألفاظ غير مبالٍ بالحقائق والمعاني والمضامين . فهذا فيه خطورة شديدة على من كان ذلك .

والواجب على الإنسان أن يكون هُمة هو دينه وطاعته وتقربه إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن يكون تعلمه للنحو والبلاغة والصرف ونحو هذه الأشياء من أجل خدمة دين الله، لا يتعلمها لذاتها، وإنما يتعلمها لأجل خدمة دين الله، ولهذا تسمى هذه العلوم «علوم الآلة»، لأنها علوم خادمة لا تُقصد لذاتها، وإنما تُقصد ليستفاد منها في

خدمة الدين ، فهي ليست مقصودةً لذاتها وإنما هي علوم خادمة تستعمل من أجل خدمة الدين ، فإذا تحول الأمر إلى أن يُهمل الدين وتصبح العلوم الخادمة هي الغاية والمقصد عند الإنسان فهذه المصيبة ، وفي مثل ذلك جاءت نحو هذه النصوص. ونكتفي بهذا القدر.

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .
اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .